نظم ديار بكر الادارية في عهد الأراتقة*

د. عماد الدين خليل

تمهيد

إن موضوع التنظيمات الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذو علاقة وثيقة بسياسات الامارات الارتقية وعلاقتها الخارجية ، إذ أن هذه التنظيمات كانت ،إلى حد ما ، القاعدة التي استند عليها الاراتقة في توجيه نشاطهم نحو التوسع وإنشاء العلاقات بالدول والامارات المجاورة فعن طريق هذه التنظيمات يتمكن الأمير من السيطرة على الوضع الداخلي لامارته وتسييره وفق نظام معين يمكنه من استغلال الوسائل الاقتصادية والبشرية والحربية من أجل توسيع امارته وتحديد علاقاته بالآخرين . كما يمكنه من القضاء على الفوضى الداخلية والسير بامارته نحو التقدم والنمو في شتى المجالات .

□ وهكذا فإن بحث النظم ،على قلة المعلومات عنها وابتعاد المصادر عن محاولة ايراد تفاصيل حولها ،ضروري لتوضيح الأساس الداخلي الذي استندت إليه علاقات الاراتقة الخارجية ،السياسية والعسكرية ،والتي تشكل القسم الاكبر من هذه الرسالة.

ويظهر أن الاراتقة حاولوا تنظيم أوضاعهم الداخلية ، وتمكنوا من تحسين النظم السائدة في المنطقة في الفترة السابقة ، كما أنهم اقتبسوا كثيراً من النظم التي عاصرتهم . ولكن المشكلة التي تعترضنا هنا هي : هل أن الأراتقة

* صفحات من اطروحة دكتوراه بعنوان (الامارات الارتقية في ديار بكر).

أقاموا تنظيماتهم على انقاض جهاز سابق ، أم أنهم أنشأوها بالكلية انشاء جديداً ؟ . ومصدر هذه المشكلة هو عدم تأكيد المصادر على النواحي المتعلقة بالنظم وانصرافها إلى التأكيد على العلاقات السياسية والحروب بالدرجة الأولى ، ليس فقط بالنسبة لديار بكر ، وإنما بصورة عامة ، وهكذا تضيع الاشارات المحدودة عن النظم في خضم من التفاصيل السياسية والعسكرية .

ولإعطاء صورة عن المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، تجدر الإشارة الى عدد من الاعتبارات ، أهمها :

١ — هناك إشارات إلى عدد من التنظيمات الادارية والاقتصادية في ديار بكر في الفترة التي سبقت تكوين الامارات الارتقية مباشرة ، مما يشير إلى أن المنطقة كانت قد بلغت — في تلك الفترة — مرحلة لا بأس بها من النضج الاداري والاقتصادي . وبمقارنة هذه التنظيمات بتلك التي عرفت لدى الأراتقة يتضح مدى ما أخذه هؤلاء عمن سبقهم ومدى ما استحدثوه في هذا المجال .

٢ — إن سكوت المصادر عن بعض التنظيمات والامور الادارية والاقتصادية والاجتماعية ... في فترات معينة من التاريخ لايعني عدم وجودها ، بل من المحتمل أن المصادر ، بتركيزها على القضايا السياسية والحربية ، قد انشغلت عن ذكر الامور الحضارية . وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة هامة في المجال الحضاري تلك هي أن حدوث تحول سياسي أو حربي ، والانتقال من عهد إلى عهد آخر وسقوط الأمراء وقيام آخرين مكانهم ، لايعني سقوط التنظيمات القديمة قاطبة وقيام أُخرى جديدة لا علاقة لها بسابقتها ، إذ أن ذلك يناقض استمرارية التماسك الاجتماعي والنظامي والبيروقراطي (الوظيفي) بعد حدوث هذه الرجات . فلا بد إذاً من القول بأن التنظيمات ، في خطوطها الأساسية ، لا يصيبها تغيير كبير إثر تلك الانقلابات ، وبصورة خاصة بالنسبة لطبقة الموظفين الصغار والمسؤولين الثانويين الذين يلعبون دوراً هاماً في استمرارية النظام والتماسك الاداري . وهكذا يمكن القول بأن الأراتقة

لم يقيموا مؤسسات ونظماً جديدة بالمرة على المنطقة ، بل أن بعضها كان موجوداً ، واكتفى هؤلاء باجراء بعض التعديلات عليها ، فضلاً عن ادخالهم نظماً جديدة مقتبسة عن الدول المعاصرة كالسلاجقة والأيوبيين والمماليك .

٣ ــ لم تقم الامارات الارتقية دفعة واحدة ، بل قامت في فترات زمنية متباينة ، وليس هذا فحسب ، بل أن كلاً من هذه الامارات بدأت بمدينة أو حصن واحد وأخذت تتسع بالتدريج بضم أماكن جديدة إليها . وهذا يشير ، من ناحية سياسية وحضارية ، إلى عدم حدوث تغيير أساسي إثر قيام الامارات الارتقية ، وان من المؤكد قيام الاراتقة كثير من الاحيان، باقتباس شبه تام لما كان موجوداً سابقاً . ويشير كاهين إلى أن التنظيم الداخلي للأراتقة وحضارتهم بصورة عامة كانت تنقصهما الأصالة بحيث لا تستحقان دراسة شاملة خاصة بهما . فالإمارات الارتقية كانت تشكل ، فيما عدا خرتبرت ، جزءاً من العالم الاسلامي منذ عهد الفتوحات الاسلامية وإن المناطق التي حكمها الأراتقة استمرت تحكم من قبل نفس السكان وبنفس القوانين التي كان يعمل بها سابقاً ، ويتساءل كاهين فيما إذا كان لنظام حكم الأراتقة أية ميزات خاصة سواء اكانت أصيلة أم غير أصيلة . (١) هذا فضلاً عن أن ايران والعراق والشام كانت قد تأثرت جميعاً ــ كما يشير فيت ــ في هذه المرحلة التاريخية ، إلى حد كبير أو صغير بما أنشأه السلاجقة من نظم حربيّة واقتصادية وما لجأوا إليه من انشاء المدارس (٢) . وقد أشار القلقشندي إلى هذه المؤثرات الحضارية للسلاجقة والاتابكيات التي تفرعت عنها في مختلف أنحاء المنطقة المذكورة ، بحيث أن أهم الدول والامارات التي قامت في أنحائها كانت تستمد نظمها من هؤلاء في معظم الأحيان .(٣) ويعود كاهين فيشير إلى أن دخول العنصر التركماني ــ الذي ينتمي إليه الأراتقة ــ إلى ديار بكر لم يكن له أي تأثير في فعاليات القطر الاقتصادية التقليدية التي كانت قائمة

---

(١) Enc. Isl . art. Artukids . New ed.

(٢) L'Egypte Arabe, P . 330 .

(٣) صبح الاعشى ٤ / ٥ .

على الزراعة وتربية الحيوانات ومناجم الحديد والنحاس والتجارة مع العراق والأناضول (٤) . وهذا يشير بدوره إلى أن ناحية من أهم نواحي النظم الارتقية لم تكن مبتكرة وإنما اعتمدت على ما كان سائداً من قبل . هذا فضلاً عن أن السمة العربية الأصيلة للحضارة الارتقية استمرت تحتل مكانة كبيرة في ديار بكر متمثلة في الشعر العربي الذي لقي رواجاً لدى الأراتقة وفي العدد الكبير من الشعراء الذين خرجتهم أو استقبلتهم ديار بكر في عهد الأراتقة .

٤ — ثمة نتيجة تتمخض عن الاعتبارات السابقة ، وهي أن كل دراسة للنظم التي التزمتها الدولة السلجوقية أو الدول والإمارات التي أخذت عنها كالأيوبيين (٥) تلقي ضوءاً في الوقت ذاته على المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، خاصة وان الامارات الارتقية امتدت ، في بعض الأحيان ، فشملت مدناً ومواقع كانت ذات طابع سلجوقي كحلب والمواقع المحيطة بها .

٥ — شكل الأراتقة ثلاث إمارات ضمّ كل منها عدداً من المدن والمواقع وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات الثانوية في نظم تلك الإمارات فيما بينها أو فيما يتعلق بنظم مدن كل إمارة منها على حدة ، إلا أنها تتشابة جميعاً في خطوطها الأساسية وكبار موظفيها وطبيعة حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولذا سيجيء بحث حضارة ونظم هذه الإمارات والوحدات المدنية كوحدة كاملة دون تجزئة .

٦ — أورد بعض المؤرخين عدداً من الإشارات إلى ما كان سائداً من نظم في السنوات التي سبقت ورافقت ظهور اولى الإمارات الارتقية في ديار بكر حيث كانت تحكم الإمارة المروانية الكردية (٣٨٠ — ٤٧٨هـ = ٩٩٠ — ١٠٨٥م) (٦) وبعض الأمراء السلاجقة ، مما يلقي ضوءاً على الأسس التي اعتمدها الأراتقة في تنظيماتهم . ويتضح من استعراض الروايات التي أوردها الفارقي في هذا

---

(٤) Enc .Isl. art. Artukids, New ed.

(٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ٤ /٥ .

(٦) الفارقي ، تاريخ آمد (القسم المنشور) ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٩ آب) .

المجال ونقلها عنه ابن شداد ، إن ديار بكر كانت قد بلغت خلال الفترة المذكورة درجة لا بأس بها من النمو في نظمها الإدارية ، وظهر فيها عدد من الأجهزة والمناصب التي كان أصحابها يقومون بتسيير شؤون الإدارة كالقضاء ونيابة القضاء (٧) والخطابة (٨) والحسبة (٩) والنظر على الوقف(١٠) والديوان(١١) والاستيفاء (١٢) والوزارة (١٣) والولاية (١٤) والحجابة (١٥) ومحافظة البلد (١٦) ودار الضرب (١٧) . وهنالك من الضرائب المؤن و الاعشار والاقساط والكلف والخراج (١٨) ، كما يتضح الدور الهام الذي كان يلعبه القضاة في المجالين السياسي والعمراني حيث كانت الظروف السياسية تلعب دورها في تسلمهم المناصب القضائية ، لذا لم يكن أحدهم يستقر في منصبه طويلاً . وقد تدخل القضاة في تعيين الحكام وعزلهم (١٩) . وكان المحتسب يتمتع ، كذلك ، بصلاحيات واسعة فكان يسهم في فرض الضرائب والرسوم على الأهالي ، كما كان يقوم أحياناً بتولي أمور المدينة (٢٠) أما

(٧) الفارقي ، تاريخ آمد ص ١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ٢٧٩ .
(٨) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .
(٩) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٩ آ).
(١٠) الفارقي ، تاريخ آمد ص ١٩٧ — ١٩٩ .
(١١) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ، ابن شداد ، الأعلا ق (مخطوطة ١٠١ آب) .
(١٢) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ، ابن شداد ١٠١ آب .
(١٣) الفارقي ، تاريخ آمد ص ١٩٧ — ٢٠٠ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ .
(١٤) الفارقي ص ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ — ٢٨٢ ، ابن شداد ٩٩ آ ١٠١ آ .
(١٥) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٧١ .
(١٦) الفارقي ص ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ابن شداد ، الأعلا ق (مخطوطة ٩٧ آ) .
(١٧) الفارقي ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .
(١٨) الفارقي ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ آ .
(١٩) الفارقي ص ١٩٧ — ٢٠٠ ، ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٦٦ — ٢٨٤ ، ابن شداد ٩٧ آ ب ، ٩٩ آ ، ١٠٠ آ ب ١٠١ آب
(٢٠) الفارقي ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ٢٦٩ .

الوزير فكان يمثل السلطة العليا في البلاد ، وقد فوض في أحيان كثيرة صلاحيات واسعة شملت تنصيب ولي العهد أثر وفاة سلفه ، والاشراف على النواحي العمرانية والمالية مما أتاح لبعض الوزراء الحصول على الثروة عن طريق المصادرات وابتزاز الأموال ، وبلغ من صلاحية الوزراء أن أحد حكام ميافارقين ردّ الى وزيره — المعين — «جميع الأمور» ، ويظهر أن الوزير بتمتعه بهذه الصلاحيات حدّ من أهمية الوالي الذي لم يعد له دور يذكر في تسيير شؤون البلد ، اللهم إلا في الحالات التي كان الوزير يغيب خلالها ، أو تشغر وظيفته (٢١) .

ولم تحدد الروايات الآنفة طبيعة العلاقات الإدارية بين مختلف الموظفين بشكل دقيق . وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدداً من الوظائف السالفة لم يكن ثابتاً بل كان معرضاً للاستغناء عنه في أحيان كثيرة .

وقد تأثر التقدم الاقتصادي والعمراني للمنطقة بالظروف السياسية تأثراً كبيراً بسبب اختلاف الحكام عليها واتباعهم أساليب مختلفة ، فمنهم من كان يعمل على الاصلاح بإسقاط الضرائب المجحفة والتوسع في الإعمار (٢٢) ، ومنهم من كان يتبع أساليب البطش والتنكيل وزيادة الضرائب مما اضطر عدداً من الأهالي إلى الجلاء (٢٣) .

ويمكن القول بأن المنطقة بلغت درجة كبيرة من التقدم الاداري والعمراني والاقتصادي في أواخر حكم الإمارة المروانية في ديار بكر ، حيث انصرف حكامها إلى الاصلاح والاعمار (٢٤) ولكن ما أن سقطت تلك الإمارة ، حتى غدت ديار بكر عرضة للفتن والاطماع ، حيث تناوبها الحكام وطمع الأمراء المجاورون بضياعها وقراها مما أدى إلى تدهور اوضاعها العامة ،

---

(٢١) الفارقي ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨١ — ٢٨٢ ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ ، ١٠١ آب .

(٢٢) الفارقي ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ ب .

(٢٣) الفارقي ص ٢٤٤ — ٢٤٧ ، ابن شداد ٩٩ آ .

(٢٤) الفارقي ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ابن شداد ٩٣ آب .

فاستولى عليها ، كما ذكر الفارقي « الظلم والجور والخراب ، وافتقر أهلها ، وإلى الآن — حوالي منتصف القرن السادس — لم ترجع إلى عشر عشر ما كانت عليه في أيام نظام الدين (المرواني)» (٢٥) . وهذا يعطي صورة مقارنة عن الوضع الاقتصادي لديار بكر قبيل الأراتقة وفي مطلع حكمهم .

الادارة الأرتقية

كان نظام الحكم في الإمارات الارتقية قائماً على الأساس الوراثي فالابن يعقب أباه في الحكم ، وأحياناً تنتقل السلطة إلى الأخ في حالة عدم وجود وريث أو عدم تمتع الابن بالمؤهلات الكافية ولكن كثيراً ما كان يحدث أن الوريث يخلف أباه على الحكم حتى ولوكان طفلاً ،وهذا هو الذي أتاح لبعض أفراد الحاشية الاستئثار بالحكم الفعلي وتوجيه الأمراء الأطفال وفق هواهم (٢٦) وكانت المؤامرات داخل البلاط الارتقي لا تقف عند حد ، ليس فقط بين الأمراء وكبار رجال الحاشية ، بل بين الأمراء أنفسهم (٢٧) .

(٢٥) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ٩٣ آب) .

(٢٦) تولى حسام‌الدين يولق أرسلان الحكم بعد أبيه أيلغازي عام (٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م) وكان طفلا فقام بتربيته نظام‌الدين البقش مملوك أبيه واستأثر بالحكم هو ومملوك آخر يدعى لؤلؤ ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي الولد عام (٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م) ، وكان له أخ أصغر منه هو قطب‌الدين أرسلان فعينه البقش مكان أخيه في الحكم «ولكن ليس له منه إلا الاسم ، والحكم للنظام ولؤلؤ » . ولكن قطب‌الدين مالبث أن أخذ يتحين الفرص للتخلص من نفوذهما وواطأ على ذلك جماعة من الأمراء والمماليك ومن ثم تمكن من اغتيالهما عام (٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م) واخراج مناوئيه من ماردين وتعزيز أنصاره ، وبذلك تمكن من ممارسة مهام الحكم بشكل فعلي . انظر ابن الأثير ، الكامل ١١ / ٢٠٧ ، ابن العبري ، مختصر ص ٣٨١ — ٣٨٢ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٥ ب) .

(٢٧) في عام ٦٣٦ (وقيل ٦٣٧ هـ) اغتيل الملك المنصور ارتق أمير ماردين على يد مماليكه بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين ابنه الملك السعيد ايلغازي واعتقال الأخير ، مما دفع ابنه إلى تدبير هذه المؤامرة لاغتيال جده والافراج عن أبيه . وما أن استقر السعيد في الحكم حتى قام باعتقال أكبر اخوته حيث كان يشكل خطراً على نفوذه ، ومن ثم استقام له الأمر . انظر : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ١١٦ — ١١٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة ٨ / ٧٣٠ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٣٤ب — ١٣٥ آ) . وفي عام ٧١١ هـ توفي الملك المنصور ايلغازي ، فقام ولي عهده الملك العادل بمحاولة لاغتيال أخيه شمس الدين الصالح لما كان يعلم من همته وانه أحق بالملك منه =

ولم يشذ الأراتقة عن قاعدة الوراثة في الحكم إلا في عهد قطب الدين سقمان ، أمير آمد وحصن كيفا ، حيث أنه عهد بولاية العهد إلى مملوك له يدعى اياز . وعندما توفيّ قطب الدين عام (٥٩٧هـ = ١٢٠٠م) تسنم الحكم بعده مملوكه اياز واستمر فيه أياماً تمكن بعدها شقيق قطب‌الدين (ناصر الدين محمود بن محمد) من انتزاع الحكم منه ، ومن ثم القى القبض عليه واعتقله (٢٨)

أما الألقاب التي اتخذها حكام الأراتقة فقد تدرجوا فيها مستغلين الظروف السياسية المحيطة بهم فتسموا في البدء باسم الأمراء ثم الملوك (٢٩) ، وأول من تلقب منهم بالملك هو أرتق أرسلان عام (٦٠١هـ = ١٢٠٤م) حيث سمى نفسه الملك المنصور (٣٠) . ثم اتخذ حكام الأراتقة بعدئذ لقب السلطنة . وأول من تلقب منهم بذلك هو نجم‌الدين المنصور المتوفى عام (٧١٢هـ= ١٣١٢م) ثم أبناؤه من بعده (٣١) ، واستمروا على ذلك حتى سقوط إمارة ماردين عام (٨١٢هـ = ١٤٠٩م) ولكن ذلك لم يمنع من تمسكهم بلقب الملك وخاصة في الفترة الأخيرة كالملك الظاهر مجدالدين عيسى (٣٢) . وكان من عادتهم إضافة نعتين إلى اسمهم الأصلي مثل (المنصور نجم‌الدين ايلغازي والعادل علاءالدين علي) ، ومن المرجح أنهم اقتبسوا ذلك من الأيوبيين والمماليك (٣٣).

= فعارضه كبار الأمراء في ذلك للمكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها الصالح . ثم ما لبث العادل أن توفي بعد أيام ، ويقال أنه سم على يد أحد الأمراء ، فانتقل الملك إلى أخيه الصالح . انظر : الدواداري ، كنز الدرر ٩ / ٢٤١ – ٢٤٢ ، ابن حجر ، الدرر ٣ / ٢١٦ – ٢١٧ .

(٢٨) ابن الساعي ، الجامع للمختصر ٩ / ٥٣ .

(٢٩) غدا لقب الملك ، في العصر السلجوقي ، يطلق على الولاة الفرعيين بينما احتفظ رب الأسرة السلجوقية بلقب السلطان (مجلة بغداد ، ص ٢٦ ، عدد ٢٤ سنة ٩٦٥) .

(٣٠) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي (القسم المخطوط ٢ / ٤٩٦) .

(٣١) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣١٦ ، ابن تغري بردي المنهل الصافي (القسم المنشور) حاشية ٣ ، ١ / ٢٢١ .

(٣٢) العيني ، الروض الزاهر ص ١٥ .

(٣٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٥ / ٤٨٨ . وانظر عن انتشار الألقاب لدى السلاجقة والذين أعقبوهم : (مجلة بغداد ص ٢٤ – ٢٨ ، عدد ٢٤ سنة ٩٦٥) .

ولا ريب أن السلطة الرئيسية في الحكم كانت بيد الأمير الارتقي ، وأنه كان يتمتع بنفس الصلاحيات التي كان يتمتع بها سلاطين وملوك وأمراء تلك الفترة : كمنح الاقطاعات ، ومكافأة الأمراء والأجناد ، والقيادة العليا للجيش ، وتعيين كبار موظفي الدولة وعزلهم وتأديبهم ، والنظر في المظالم أحياناً، ومقابلة بعض ذوي الحاجات من الأهالي، وتحديد سياسة الإمارة(٣٤) أما بقية الاختصاصات والأعمال فكانت تقع على عاتق الجهاز الإداري المكلف بتسيير شؤون الإمارة الادارية والعسكرية والمالية .

يقف الوزير على رأس الجهاز الإداري لدى الأراتقة ، وكان يتمتع بصلاحيات واسعة في العهود الأولى من حكمهم ، وربما كان الأراتقة متأثرين في ذلك بالنظام السلجوقي الذي كان يعطي للوزير حق الاشراف على جميع الدواوين والمرافق المهمة في الدولة (٣٥) . وأول وزير تتطرق الروايات إلى ذكره هو أبو تمام بن عبدون الذي رافق ايلغازي لدى توجهه إلى أرمينية لقتال الكرج عام (٥١٤هـ = ١١٢٠م)(٣٦) . ويشير ورود اسم الوزير في هذه الفترة المبكرة إلى أن الأراتقة اتخذوا الوزراء منذ فجر حياتهم السياسية. ثم نورد الروايات ، بعد ذلك ، اسم عبدالملك الذي استوزره حسام‌الدين تمرتاس عام (٥١٨هـ = ١١٢٤م) ، وقد استمر هذا في منصبه حتى عام (٥٢٧هـ = ١١٣٢م) حيث توفي . وكان يقوم بتعيين بعض كبار الموظفين كالشحنة (المحافظ) والمشرف على الوقف ، كما قام بمصادرة بعض كبار المسؤولين (٣٧) ، مما يشير إلى سعة الصلاحيات التي كان الوزير الأرتقي يتمتع بها . وفي العام التالي (٥٢٨ هـ) وصل إلى ماردين حبشي بن محمد بن حبشي قادماً من العراق (٣٨) ليدخل في خدمة تمرتاس

(٣٤) انظر علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ١٦٠ – ١٦٣ .
(٣٥) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤) .
(٣٦) الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ورقة ١٠٣ آ – ١٠٤ آ) .
(٣٧) الفارقي ، (المخطوطة ١٠٩ آ ب) .
(٣٨) كان حبشي قد خدم الياغسياني أمير حماه ، ويظهر أنه لم يقم بواجبه على الوجه المطلوب فقبض عليه الياغسياني وعاقبه ، فانهزم وتنقل في البلاد إلى أن =

الذي ولاه الوزارة ومنحه سلطات واسعة«فبلغ من الدولة مالم يبلغه غيره وتحكم أو في تحكم» (٣٩) ، وتوجه إلى ميافارقين في مطلع العام التالي « فعمل هناك حساب أرباب الأعمال والكتاب ، وسلك بهم أعسف الطرق والخسف والقهر » وما أن وصل إلى هناك حتى انهزم المستوفي المؤيد أبو الحسن عائداً إلى الجزيرة فقبض حبشي على شقيقه أبي سعيد وكان مستوفياً هو الآخر ،وعلى ابنه ، وصادر أموالهما ، فبقي الناصح في الإعتقال حتى وفاته ، وقام حبشي بتولية العميد أبو طاهر بن المحتسب مكانه ، وكان هذا معتقلاً طيلة ست سنوات فأطلقه حبشي (٤٠) . وفي عام (٥٣١هـ — ١١٣٦م) توجه حبشي إلى ميافارقين ثانية وصادر أهلها » وجرى عليهم منه مالا يوصف (٤١) وفي عام (٥٣٥هـ — ١١٤٠ م) لعب حبشي دوراً مهماً في حماية ميافارقين من الخطر الذي دهمها لدى مهاجمة داود الأرتقي أمير حصن كيفا لها ، وكان حبشي آنذاك مقيماً بها فقام هو والحاجب يوسف بن ينال والي المدينة ، «بتدبير الناس وسياسة البلد» (٤٢) ويظهر أن العلاقات ساءت ، بعد ذلك ، بينه وبين حسام الدين تمرتاش بسبب طغيانه واستغلال منصبه للكسب الشخصي . ولكن تمرتاش لم يستطع أن يقدم على خطوة جريئة ضده ، إلى أن استغل فرصة تغيبه عن ماردين عام (٥٣٦هـ — ١١٤١م) على رأس وفد لمفاوضة زنكي في الموصل، فأطلق سراح المؤيد أبي الحسن الذي كان حبشي قد اعتقله منذ عام (٥٣٤هـ — ١١٣٩م) وعينه حسام الدين تمرتاش في الاستيفاء ورد إليه جميع الأمور (٤٣) . ويظهر أن هذه الخطوة التي اتخذها حسام الدين استفزت حبشي — وهو في الموصل — فاتفق مع زنكي — سراً — على

=== انتهى به المطاف في ماردين (الفارقي ، تاريخ آمد ، مخطوطة ١٠٩ب — ١١٠ آ) .

(٣٩) الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١١٠ آ) .

(٤٠) الفارقي تاريخ آمد ، ورقة ١١٠ آ ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ آب .

(٤١) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٢١ آ .

(٤٢) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ ب ١٠٤ آ .

(٤٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٢ب — ١٢٣ آ .

تسليمه ميافارقين ، ولكن المؤامرة أُكتشِفت ، عندما حاصر زنكي المدينة عام (٥٣٨هـ — ١١٤٣م) وكان حبشي مقيما بها آنذاك ، فدخل على خيمته ليلاً اثنان من كبار مسؤولي المدينة وهما مؤمل الشاقصي ومحمد بن أبي المكارم وقتلاه واتجها برأسه إلى ماردين (٤٤) .

وتشير الروايات السابقة إلى مدى ماكان يتمتع به الوزير الارتقي من صلاحيات إدارية وسياسية كما كانت الحال في السابق ، حيث كان يقوم بفرض وتقدير الضرائب على أرباب الأعمال والكتاب ، ويصادر كبار الموظفين ، ويعزلهم ويوليهم ويرأس الوفود للمفاوضة ويشارك في تنظيم الدفاع عن المواقع التي يتهددها الخطر . ولكن هذا التضخم في الصلاحيات التي يمارسها الوزير حدّ من سلطة الأمير الارتقي نفسه ، بحيث لم نعد نرى بعد حبشي وزيراً للارتقة تمتع بهذه الصلاحيات. وقد وصل إلى ماردين في العام الذي تلا مقتل حبشي الأمير ابراهيم بن منقذ المصري فولاه حسام‌الدين الوزارة (٤٥) ويظهر أن هذا حاول آستغلال منصبه كسلفه فاعتقله حسام الدين عام (٥٤٠هـ=١١٤٥م) قبل أن يتمكن من منصبه ولكنه آستطاع أن يهرب من السجن بتدبير من بعض أفراد الحاشية الارتقية ومن ثم غادر ماردين سراً ، فلما علم حسام الدين بذلك أرسل فرسانه في طلبه فتمكنوا من القبض عليه وحملوه إلى حسام الدين فأطلقه دون عقاب (٤٦) .

ولم تشر المصادر إلى الوزير الذي أعقب ابراهيم بن منقذ طيلة خمس سنوات من هذا آلحادث ، وتقفز إلى عام (٥٤٥هـ=١١٥٠م) حيث يشير الفارقي إلى أن حسام الدين آستوزر خلاله زين‌الدين أسعد بن عبدالخالق ، شقيق المؤيد الذي كان وزيراً للبرسقي حاكم الموصل (٥١٥—٥٢٠هـ=١١٢١—١١٢٦م) (٤٧) ، ولكن هذا لم يستمر في منصبه سوى عام واحد حيث

(٤٤) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٣ ب — ١٠٤ آ .
(٤٥) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٢٤ آ .
(٤٦) المصدر السابق ، ورقة ١٢٥ آ .
(٤٧) المصدر السابق ، ورقة ١٣٤ ب .

اغتيل في العام التالي (٥٤٦ هـ = ١١٥١ م) بتدبير من حكام آمد . «وبقي حسام الدين بعد قتل زين الدين بغير وزير وآكتفى بالاجلّ مؤيد الدين — الذي كان يعمل في الإشراف على الديوان — وأغناه عن جميع من خدمه»(٤٨) ويظهر أن حسام الدين أراد أن يتخلص من المشاكل التي جرها عليه معظم وزرائه ، فقرر أن يبقى بلا وزير ، وأن يعتمد على بعض كبار موظفيه لإنجاز ما كان يقوم به الوزراء من مهام رسمية .

وطيلة الفترة التي أعقبت وفاة حسام الدين (٥٤٧هـ=١١٥٢م) وحتى سقوط آخر إمارة آرتقية في ماردين عام (٨١٢هـ=١٤٠٩م) ، لم تقدم المصادر روايات متكاملة ومتتابعة عن الأشخاص الذين آستوزروا من قبل الاراتقة ، وطبيعة الأعمال التي كانوا يمارسونها . ففيما عدا تاريخ الفارقي ، وابن شداد الذي نقل عنه ، لانجد أي مصدر يهتم بالأمور الإدارية للاراتقة بالمقدار الذي نجده لدى الفارقي ، لذا فإن الفترة الطويلة التي أعقبت تاريخ الفارقي لاتتخللها سوى روايات قليلة ومتباعدة تشير إلى بعض النواحي الإدارية . ففي عام (٥٨١هـ=١١٨٥م)ترد إشارة إلى مقتل قوام‌الدين عبدالله بن سماقة وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان أمير آمد وحصن كيفا ، حيث آحتال عليه مماليك الأمير المذكور فاستدعوه من الديوان الذي كان يجتمع فيه بكبار رجال الدولة وقالوا له : إن الملك يطلبك ، وما أن آنفرد في أحد الدهاليز حتى آنقضوا عليه وقتلوه (٤٩) ويظهر أنه حاول أن يتجاوز حدود سلطته ، أو أنه قتل بتحريض من قبل بعض منافسيه ، ومن المرجّح أن ممارسته السلطة الفعلية باسم سيده هو الذي ألّبه عليه ودفعه إلى قتله (٥٠) .

وترد في عام (٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ م) اشارة إلى وفاة أحمد بن حلوان ، نجم الدين المعروف بابن العالمة ، وإنه كان قد استوزر من قبل المسعود أمير آمد

(٤٨) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٥ ب — ١٣٦ آ .
(٤٩) ابو شامة ، الروضتين ٢ / ٦٧ ، ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق (مخطوطة ٣٠١ — ٣٠٢)
(٥٠) الكامل ١١ / ٢٠٩ ، ابو الفدا ، المختصر ٣ / ٧٣ ، ابن الوردي ، تتمة ، ٢ / ٩٤ .

وحصن كيفما فترة من الزمن ، بعد أن خدمه وحظي عنده بما كان يتمتع به من مهارات في العلوم والآداب ، ثم ما لبث الملك المسعود أن نقم عليه وصادر جميع ممتلكاته فاضطر إلى مغادرة آمد إلى دمشق حيث توفي هناك (٥١). وفي عام (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) ترد اشارة إلى اشتراك الصاحب شمس الدين بن شرف الدين التيتي ، وزير صاحب ماردين ، في الوفد الذي أرسله السلطان أحمد ابن هولاكو ، سلطان المغول ، لمفاوضة المماليك في مصر ، وانتهى الأمر باعتقالهم في دمشق ثم الإفراج عنهم فيما عدا ابن التيتي « ونفرين أو ثلاثة قيل أن صاحب ماردين أشار بابقائهم لامر نقمه عليهم» (٥٢) . وكان ابن التيتي فاضلاً مشاركاً في علوم النحو واللغة والحديث ، وروى عنه عدد من العلماء (٥٣) ولكنه لم ينج ، كمعظم زملائه من وزراء بني أرتق ، من التنكيل والإضطهاد . وبعد فترة ليست بالطويلة (٦٩٨ هـ=١٢٩٨م) قام نجم الدين ايلغازي ، أمير ماردين ، بقتل وزيره المعروف بابن المرأة لدى اكتشافه بأنه كان يتآمر على قتله وتنصيب أحد إخوته مكانه (٥٤). ويتطرق ابن بطوطة لذكر وزير ماردين في عهد زيارته لها (في حدود عام ٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م) وهو جمال الدين السنجاري الذي وزر للملك الصالح والذي يصفه بأنه « الإمام العالم وحيد الدهر وفريد العصر وإنه قرأ بتبريز — من بلاد فارس — وأدرك العلماء الكبار » (٥٥) ، مما يشير إلى أن الأراتقة كانوا يتوخون في وزرائهم العلم والثقافة. ومن ثم ترد الإشارة الأخيرة إلى وزراء الأراتقة على لسان ابن الفرات حيث يذكر أنه في العاشر من المحرم عام (٧٩٦ هـ = ١٣٩٣م) حضر إلى القاهرة الحاج محمد وزير صاحب ماردين لاطلاع السلطان على آخر تحركات تيمورلنك (٥٦) مما يشير إلى أن الوزير الأرتقي كان يتمتع حتى الفترات

---

(٥١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٩٢ — ٩٥ .
(٥٢) المصدر السابق ٤ / ٢١٧ — ٢١٨ .
(٥٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٨٦ .
(٥٤) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٤٩٩ — ٥٠٠ .
(٥٥) رحلة ١ / ١٨٣ .
(٥٦) تاريخ ابن الفرات ٩ / ٣٦١ .

المتأخرة ، ببعض الصلاحيات في تسيير شؤون الامارة وفي نشاطها الخارجي.

وليس الولاة بأكثر حظاً من الوزراء فيما ورد عن أسمائهم وحدود سلطتهم ففيما عدا ما قدمه الفارقي (ونقله عنه ابن شداد) وبخاصة قائمة نواب (أو ولاة) حسام‌الدين تمرتاش في ميافارقين فإن المصادر الأخرى لاتكاد تذكر شيئاً عن الموضوع . وأول وال يرد ذكره لدى الأراتقة هو ابن ايلغازي، الذي نجهل اسمه ، والذي ولاه أبوه على نصيبين لدى استيلائه عليها عام (٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) (٥٧)،وبلاق بن اسحق والي ايلغازي على‌الأثارب القريبة من حلب والذي لعب دوراً مهماً ضد الصليبين (٥٨) ، ثم يرد بعد ذلك اسم الحاجب غزغلي الذي كان والياً على ميافارقين في عهد ايلغازي ، وقد لعب هذا الوالي دوراً في مساعدة شمس‌الدولة سليمان بن ايلغازي في الاستيلاء على ميافارقين وتشكيل امارة جديدة هناك ، دون حدوث أي اشتباك (٥٩) . ويرد بعد ذلك اسم الحاجب يونس الدنيسري الذي ولاه حسام‌الدين تمرتاش على دارا لدى استيلائه عليها في‌ذي الحجة من‌عام (٥٤٤ هـ = ١١٥٠م) (٦٠) . ومن ثم يقدم الفارقي قائمة لابأس بها عن ولاة (نواب) حسام‌الدين تمرتاش على ميافارقين وهم: الحاجب أبو بكر بن خمرتاش الحاج (عزل)،بيرم بن خمرتاش الحاج (عزل) عثمان بن خمرتاش الحاج (عزل) ، بيرم ، ثانية ، (عزل) الحاجب عبدالكريم بن علي (عزل) ، الحاجب يوسف ينال (عزل) ، قزغلي (توفي)، ا لحاجب يرنقش الحسامي (عزل)، يوسف ينال ، ثانية وبقي‌حتى عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) حيث توفي فولي بعده ناصر الدولة صندل في‌ذي القعدة، وبقي في الولاية إلى ربيع الآخر سنة (٥٤٢ هـ = ١١٤٧م) وعزل ، وعين اسر سلار

---

(٥٧) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ٣٩ آ .

(٥٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ١٩٤ .

(٥٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٥ آ– ١٠٥ ب ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٢ ب وقد حور الناسخ اسم غزغلي فجعله كيغلي .

(٦٠) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٢ آ .

حتى وفاته في ربيع الآخر سنة (٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م) ومن ثم استقل ينال بالولاية واستمر فيها حتى وفاة حسام الدين تمرتاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م)(٦١).

ويلاحظ من الاطلاع على هذه القائمة أن ولاة الأراتقة كانوا ، كوزرائهم لايستمرون في مناصبهم طويلاً ، إذ كانوا معرضين للعزل ، وهكذا فإن معظم الولاة الذين حكموا ميافارقين عزلوا قبل أن تمضي على توليتهم فترة طويلة، ولذا تعاقب على حكم هذه المدينة اثنا عشر والياً في فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . وربما كان هذا هو السبب الذي لفت انتباه الفارقي فقدم هذه القائمة واغفل ذكر ولاة المواقع الأخرى . ويلاحظ أن معظم هؤلاء الولاة ، الذين وردوا في القائمة ، كانوا يلقبون بالحاجب وهذا يشير إلى أحد احتمالين : إما أن يكون هؤلاء قد اشغلوا فعلاً وظيفة الحجابة للأراتقة قبل توليهم ميافارقين وإنهم ولوا بعدئذ على هذه المدينة تقديراً لخدمتهم وهو المرجح ، أو أن التقاليد الرسمية كانت تقتضي تسمية كل وال باسم الحاجب (فلان ...) .

ويذكر القلقشندي أن من ضمن مهام ولاة الاراتقة تلقي المكاتبات من الخارج ، حيث كانت توجه اليهم بعض المكاتبات من نواب المماليك في دمشق وحلب (٦٢)ولا نعرف ،بعد ذلك ،شيئاً عن طبيعة المسؤوليات التي كلف ولادة الاراتقة القيام بها، والجهاز الاقليمي الذي كان يعاونهم في شؤون الادارة وصلاحية تعيين أعضائه ؟ .ولما كانت معظم المواقع (الولايات) الارتيقية ذات قلاع وحصون فالمرجح أن أهم أعمال اولئك الولاة كانت، حسبما ذكر القلقشندي «حفظ تلك القلاع ،وعمارة مادعت الحاجة إلى عمارته منها ،وأخذ بقلوب من فيها ،وجمعهم على الطاعة بالاحسان اليهم (٦٣)، وتحصينها بآلات الحصار وادخار آلات الحرب ومهماتها ،والاعتناء بغلق

---

(٦١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٧ آ – ١٣٨ آ ، ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٤ ب – ١٠٥ آ .

(٦٢) صبح الأعشى ، ط ٨،٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

(٦٣) انظر الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١٣٨ آب) وابن شداد ، الأعلاق (المخطوطة ١٠٥ آ)

أبواب القلعة وفتحها وتفقد أحوالها في كل صباح ومساء ، وإقامة الحرس وإدامة العسس ،وتعرف أحوال المجاورين لها من الأعداء ،والمطالعة بكل مايتجدد لديه من الأخبار» (٦٤). هذا بالاضافة إلى مهمات الوالي المالية والعسكرية الأُخرى كمساعدة الأمير الارتقي في عملياته الحربية بشكل مباشر، أي بامداده بالجند والميرة ،أو غير مباشر ،كأن يقوم بتوسيع منطقة ولايته، والدفاع عنها ضد هجمات الأعداء .ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به الحاجب يوسف والي ميافارقين عام (٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م)عندما قام داود الارتقي ،أمير حصن كيفا ، بمهاجمة ميافارقين ،حيث أحسن الوالي «تدبير الناس وسياسة البلد» (٦٥) واستطاع بمساعدة بعض المسؤولين ،انقاذ المدينة من خطر محقق .

وهنالك موظف على درجة كبيرة من الأهمية وهو نائب السلطنة في ماردين وقد استحدث الاراتقة هذا المنصب في فترة متأخرة (٦٦) ويظهر انهم نقلوه عن المماليك في مصر والشام حيث كان نائب السلطنة هناك يتولى مهاماً خطيرة ،إذ كان يشترك مع السلطان في توزيع الاقطاعات ،وتعيين الموظفين ويعرض عليه كشفا باسماء الأشخاص الذين كان يحبذ ترشيحهم لهذه المناصب فيقرها السلطان ،ولا يرفض تعيين أحد المرشحين الا في القليل النادر (٦٧) وكان نائب السلطنة في ماردين يتلقى المكاتبات الرسمية من نواب المماليك في دمشق وحلب (٦٨)، ومن الابواب السلطانية في القاهرة (٦٩) وقد حدد المسؤولون في دواوين المماليك صيغة الكتب التي كانت ترسل إلى هؤلاء

---

(٦٤) صبح الأعشى ١١ / ٩٢ .
(٦٥) ابن شداد ، الأعلاق (المخطوطة ١٠٣ ب – ١٠٤ آ) .
(٦٦) ابن الفرات ، تاريخ ٩ / ٤٥٣ .
(٦٧) المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٥ ، العمري ، التعريف ص ٩٢ – ٩٣ ، السبكي معيد النعم ص ٣٤ .
(٦٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .
(٦٩) المصدر السابق ٧ / ٢٦٩ .

ومن أعمال النائب كذلك توقيع المراسيم والمنشورات وتنفيذ القوانين (٧٠) والركوب على رأس فرق الجيش في المواكب الرسمية (٧١) كما أن ديوان الجيش يجتمع برئاسته (٧٢) ،ويكاتبه نواب المدن الأخرى بصدد الامور المتعلقة بنياباتهم (٧٣) .وهكذا كان النائب هو المتصرف في كل أمر حيث يراجع في الجيش والمال والجند والبريد ،وكل ذي وظيفة لايتصرف الا بأمره وهو الذي يرتب الوظائف (٧٤) ويذكر فان برشم أن نائب السلطنة كان على رأس الموظفين لدى المماليك (٧٥) ويظهر أن نائب السلطنة لدى الاراتقة كان يتمتع هو الآخر ،بصلاحيات واسعة فكان يمارس مهام الدفاع عن العاصمة وتحصينها ، وبلغ به الأمر أن نصب أحد سلاطين ماردين (٧٦) ويبدو أن عدداً من أهم صلاحيات الوزير الارتقي غدت ضمن اختصاصات نائب السلطنة الذي غدا المسؤول الأعلى في الامارة بعد الحاكم الارتقي ، ومما يؤكد هذا تدهور منصب الوزارة في الفترات الأخيرة من حكم الاراتقة وهي نفس الفترات التي بدأ يتردد فيها اسم نائب السلطنة .

اعتمد الاراتقة في ادراتهم على موظف مركزي آخر يدعى والي القلعة (٧٧) والمرجح أن اختصاصاته كانت تشبه ،إلى حدكبير ،اختصاصات نائب القلعة لدى المماليك حيث كان هذا يقوم بالاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم (٧٨) ويتفقد اسوار القلعة ومنافذها

(٧٠) المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٤ ، العمري ، التعريف ص ٦٥ — ٦٦ .
(٧١) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ١٧ .
(٧٢) المصدر السابق ٤ / ١٦ ، المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٤ .
(٧٣) المقريزي ، خطط ٢ / ٢١٥ .
(٧٤) نفسه .
(٧٥) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢١٥ .
(٧٦) ابن الفرات ، تاريخ ٩ / ٤٥٣ وانظر بشأن المهام الأخرى لنائب السلطنة لدى المماليك القلقشندي ط ٢ ، ١١ / ١٤٨ ، السبكي ، معيد النعم ص ١٩ .
(٧٧) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٥٧ — ٤٥٨ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٣٨ آب)
(٧٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٢٢ — ٢٣ .

ويعمل على اصلاحها ،ثم أصبح من اختصاصه الفصل فيما يقع بين العامة من الخصومات (٧٩) ، وهي أشبه بوظيفة الشرطة أو الانضباط العسكري في الوقت الحاضر ، وكان يتمتع باستقلال كبير عن النائب (٨٠) .

اعتمد الجهاز الاداري للاراتقة على عدد آخر من الموظفين لايقلون أهمية عمن سبق ذكرهم ،إلا أن المصادر ، بما تقدمه من اشارات مقتضبة عنهم ،لاتساعد على اعطاء صورة واضحة المعالم عن طبيعة عملهم وأشهر هؤلاء ناظر الديوان حيث يذكر الفارقي انه تمت في عام (٥٢٧ هـ= ١١٣٢ م) تولية الناصح علي بن أحمد الآمدي على النظر في الديوان (٨١) وكان قبيل ذلك يقوم بمهام هذه الوظيفة في آمد ،إلا أن اصحابها قبضوا عليه وصادروه بثلاثين الف دينار فاتجه إلى ميافارقين وولي أولاً الاشراف على الوقف ومن ثم النظر بالديوان (٨٢) وكان هذا الاسم يطلق ، لدى المماليك بصورة عامة على المسؤول الاعلى للديوان سواء كان ديوان انشاء او بريد أو نظر (أي مالية).. وكان يساعده في تسيير شؤون ديوانه عدد من الموظفين كالوكيل ومستوفي الدولة وعدد من صغار المستوفين (٨٣) كما كان يطلق بشكل خاص على المسؤول عن القضايا المالية «وهو مخاطب عن كل مايتم في معاملته من خلل» (٨٤) وقد كانت مسؤولية الناصح من الصنف الأخير كما سيتضح من سياق الأحداث ، وكان يساعد الناظر الارتقي عدد من النظار على الجهات المحلية (٨٥) .

---

(٧٩) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٣١ عن الخالدي ، المقصد ص ٧ .
(٨٠) علي ابراهيم حسن ، المصدر السابق ص ٢٣١ وانظر العمري ، التعريف ص ٩٤ – ٩٦ ، ١٤٨ – ١٤٩ .
(٨١) ابن شداد ، الأعلاق ، (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٨٢) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٠٩ آ) .
(٨٣) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢١٣ .
(٨٤) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص ٢٩٨ .
(٨٥) ابن حجر ، الدرر ٣/٢٦٤ – ٢٦٥ .

وفي عام (٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م)وصل إلى ميافارقين المؤيد أبو الحسن بن محمد من جزيرة ابن عمر فرتب في الاستيفاء مع أخيه الناصح (٨٦) ، «وكان قد ولي الديوان والاستيفاء في ميافارقين عام (٥١٠ هـ= ١١١٦م) ،قبيل استيلاء الاراتقة عليها » (٨٧) . ووظيفة الاستيفاء من الوظائف المهمة التي عرفت لدى الدولة السلجوقية .وكان المستوفي يلي الوزير في الأهمية ،وكان من واجبه الاشراف على حسابات الدولة وتدقيقها وضبط الأموال المتعلقة بالجيش وإدارة ديوان الاستيفاء (٨٨) .هذا وقد اعتقل الناصح ،ناظر الديوان، عام (٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م)أي بعد تعيينه بمدة قصيرة على يد حبشي بن محمد وزير الاراتقة (٨٩) ،وولي مكانه أبو طاهر بن المحتسب الذي كان معتقلاً آنذاك (٩٠)، واضطر المؤيد ، أخو الناصح ،إلى التخلي عن وظيفته هو الآخر والفرار الى جزيرة ابن عمر تخلصاً من بطش حبشي (٩١) وهكذا يشير إلى السلطة الواسعة التي كان الوزير الارتقي يمارسها تجاه كبار الموظفين ويظهر أن العلاقات ساءت بين أبي طاهر وحبشي فقبض عليه هذا واعتقله عام (٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م) ،فلما ذهب حبشي إلى الموصل عام (٥٣٦هـ=١١٤١م) في مهمة رسمية ،قام حسام الدين تمرتاس باطلاق سراحه وإعادته ثانية إلى الاستيفاء ورد اليه جميع الأُمور (٩٢) وقد استمر هذا في منصبه إلى مابعد عام(٥٣٩ هـ = ١١٤٤م) (٩٣) .وفي عام (٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م)قام حسام الدين بتعيين المؤيد والمهذب في الديوان على حالهما (٩٤) ويظهر انهما مارسا هذه الوظيفة قبل ذلك ، والراجح أن المؤيد المذكور هو الاجل أبو منصور الذي ورد ذكره لدى توليته الديوان مجدداً من قبل البي بن تمرتاش الذي

(٨٦) ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٨٧) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ ، ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠١ آب) .
(٨٨) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤)
(٨٩) ابن شداد ، الأعلاق (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٩٠) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) ، ابن شداد (مخطوطة ١٠٣ آب) .
(٩١) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) .
(٩٢) المصدر السابق ١٢٢ب – ١٢٢ آ .
(٩٣) المصدر السابق ١٢٤ب .
(٩٤) المصدر السابق ١٣٤ب .

أعقب أباه على حكم امارة ماردين عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م)كما قام البي بتعيين المهذب في الاشراف (٩٥)والراجح أن الاراتقة نقلوا وظيفة الاشراف هذه عن السلاجقة حيث كانت تعد من الوظائف المهمة لديهم ولها ديوان خاص يقوم المشرف بادارته ،وهو يعني بالاشراف على ضبط الحسابات والصادرات والواردات والموازنة بينهما ،وهو في الحقيقة مكمل لديوان الاستيفاء ومثل المشرف كمثل المستوفي يستطيع أن ينيب عنه في كل ولاية نائباً (٩٦) ،وهكذا صرنا نجد لدى الاراتقة عدداً من المشرفين على الدواوين المحلية (٩٧) ونظراً لما بين المستوفي والمشرف من علاقة يكون المستوفي مراقباً لديوان الاشراف (٩٨) .وهذا ما يفسر الرواية التي أوردها الفارقي حول قيام البي بتعيين موظف ثالث يدعى أبا الفتح محمد بن أحمد ليساعد المهذب والمؤيد في أعمال الديوان (٩٩).

وهنالك فضلا عن الوظائف السالفة ،اشارات إلى وظائف أخرى في جهاز الاراتقة الاداري كموقع السلطنة في ماردين (١٠٠) ،وكان يقوم بكتابة الأوامر (١٠١) ،والحاجب (١٠٢) ،الذي كان يقوم بالأعمال المعهودة للحجاب (١٠٣) وكاتب الانشاء (١٠٤) .أما الاستادارية والخدام فيظهر أنهم كانوا يعملون سوية مع الحجاب في قضايا التشريفات والوفود وتنظيم أمور القصر وتلقي مكاتبات أحياناً (١٠٥) .

(٩٥) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٣٩ آ) .
(٩٦) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي ، مجلة سومر ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤ .
(٩٧) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٣ .
(٩٨) حسين أمين ، المصدر السابق .
(٩٩) الفارقي (مخطوطة ١٣٩ آ) .
(١٠٠) ابن حجر ، الدرر ١ / ٤٠٥ .
(١٠١) السبكي ، معيد النعم ص ٢٤ — ٢٥ .
(١٠٢) الفارقي (، مخطوطة ١٣٩ آ) .
(١٠٣) انظر السبكي ، معيد النعم ص ٣٠ — ٣١ .
(١٠٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٢ — ٤١٣ ، الكتبي ، فوات الوفيات ٢ / ١٩٣.
(١٠٥) انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٧ / ٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

ولعب المحتسب دورا مهماً في حكومات الأراتقة . وقد عين هؤلاء على كل بلد أحد المحتسبين (١٠٦) ، وكان المحتسب يقوم بدور هام في السيطرة على الأمن الداخلي « وتسكين الناس» في فترات الاضطراب ، أو عند وفاة الأمير، فعندما توفي حسام‌الدين تمرتاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) وانتشر الخبر لدى أهالي ميافارقين ، اسرع المحتسب بالركوب وتوجه اليهم وسكنهم بحيث اطمأنوا وطابت نفوسهم (١٠٧) . هذا فضلاً عن قيام المحتسب بالمهام المعتادة التي كان يضطلع بها المحتسبون في تلك الفترة ، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، كالنظر في الأمور المتعلقة بالنظام العام ، والجنيات التي تستدعي السرعة في الفصل ، والمحافظة على الآداب العامة ، ومراعاة تطبيق أحكام الشرع ، والإشراف على نظام الأسواق والمؤسسات التي تحتاج إلى إعمار وإصلاح(١٠٨) وكان للمحتسب نواب يطوفون في الأسواق لتنفيذ تعليماته (١٠٩) .

وفي حلب اعتمد الأراتقة في إدارتهم على النظم المعمول بها سابقاً ، ولم يحاولوا أن يجروا عليها تغييراً أساسياً ، فالحاكم الأعلى هناك هو نائب الأمير الأرتقي الذي ينتمي إلى العائلة الأرتقية ، ويساعده في الإدارة مجموعة من الموظفين الذين عرفتهم حلب منذ فترة ليست بالقصيرة ، كرئيس الأحداث الذي كان يمارس سلطة فعلية ، ولذا كان معرضاً أكثر من غيره للعزل والتنكيل على أيدي الأراتقة (١١٠) والأحداث هم جماعات مسلحة من سكان المدينة ، ازداد شأنهم ، في بلاد الشام ، في مستهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وأصبحت لهم السيطرة على الحياة في دمشق ، وصار لهم رئيس

---

(١٠٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ٥ / ١٢٥ .

(١٠٧) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٣٨ آ — ١٣٨ب .

(١٠٨) المقريزي ، خطط ١ / ٤٦٤ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(١٠٩) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٣٠٤ — ٣٠٥ وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣٧ ، ١٩٣ ، ١١ / ٦٨ — ٧١ ، ٩٦ — ٩٧ ، ٢٠٩ — ٢١٦ ، العمري التعريف ص ١٢٤ — ١٢٦ ، السبكي ، معيد النعم ص ٤٩ — ٥٠ .

(١١٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ١٨٦ — ١٨٧ ، ١٩٨ — ١٩٩ ، ٢٠٢ — ٢٠٣ — ٢١٧ ٢٢٠ — ٢٢١ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

الأحداث أو رئيس البلد ، ويقر والي المدينة اختياره ، وقد قلدت حلب أختها دمشق في ذلك وصارت رئاسة الأحداث فيها في عائلة (بني بديع) الذين قوي نفوذهم في حلب (١١١) .

وهناك والي القلعة (١١٢) ، الذي يقوم بالمهام التي سلف ذكرها لدى الكلام عن دور هذا الموظف في ديار بكر ووالي البلد (١١٣) ، الذي كان يرجح قيامه بنفس مهام الوالي المركزي لدى الأيوبيين والمماليك فيما بعد ، حيث كانت مهمته « الإستعلام عن مجددات ولايته من قتل أو حريق كبير (١١٤) وهو الذي ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ويتعقب المفسدين ومثيري الفتن ومدمني الخمر . ومن اختصاصه أيضاً مراقبة أبواب المدينة ، والطواف بأحياء التجارة والمال » (١١٥) ، أي أن مهمته أشبه بمهمة البلدية والشرطة في الوقت الحاضر وبالرغم من ذلك فقد مارس كل من والي القلعة ووالي البلد الظلم والمصادرة وسلطا الجند والأتراك على مصادرة الناس بحيث أنهم استصفوا أموال جماعة من الأكابر والصدور ، مستغلين في ذلك الإضطرابات والقلق الذي ساد حلب خلال الحصار الصليبي لها (١١٦) . وكان يطلق على والي البلد ، أحياناً، اسم الشحنة (١١٧) أي حاكم البلد أو صاحب الشرطة أو الأمير المشرف على حراسة المدينة (١١٨) لما بين الوظيفتين من تشابه واضح في الاختصاصات،

---

(١١١) C. Cahen, Mouvements Populaires, pp. 11-16.
ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٦٨ – ٦٩ ، العريني ، الحزوب الصليبية ١ / ٢٤ – ٢٥

(١١٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ ١/٢٢٠– ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٥) .

(١١٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٣٠ .

(١١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٦٠ .

(١١٥) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٣٠ .

(١١٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٣٠ ، بغية الطلب ٤ / ٢٧٧ .

(١١٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٢٠ – ٢٢١ .

(١١٨) معجم دوزي (Dozy ، Sup .) ١ / ٧١٣ ، حاشية السلوك للمقريزي (٣) ، ٣ / ١ / ٩٧٩ وحاشية النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢) ٥ / ٢٠١ عن القاموس الفارسي .

ومع ذلك فقد عين على حلب – أحياناً – شحنة خاصا لها (١١٩) دون أن يكون والياً للمدينة في نفس الوقت . وقد استغل هو الآخر منصبه لاليشر الأمن بل ليؤذي الناس ويكسب على حسابهم (١٢٠) .

ولم يسكت الاراتقة على ما كان يقوم به كبار موظفيهم في حلب من ظلم وإساءة فكانوا ينكلون بهم ويعزلونهم عن مناصبهم (١٢١) . كما اتخذ نواب الاراتقة في حلب الوزراء ليساعدوهم في الحكم ،وكان مصير هؤلاء – كرفاقهم في ديار بكر – هو العزل والتنكيل والمصادرة (١٢٢) .

وقد حظي القضاء ،وبعض المناصب المرتبطة به كالخطابة والافتاء ، لدى الاراتقة باهتمام كبير ،وأوردت المصادر عنه عدداً لا بأس به من الروايات ،حيث برزت أسماء عدد كبير من القضاة الذين انتمى بعضهم إلى عائلة بني نباتة الشهيرة التي لعبت دوراً هاماً في مجال القضاء . وكان أول من تولى منصب القضاء من أفراد هذه العائلة هو أبو القاسم يحيى بن طاهر بن نباتة الملقب بفخر القضاة ،وكان يعمل في الخطابة هو وآباؤه منذ فترة طويلة قبل قيام الامارات الارتقية ،واختير عام (٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م)للقضاء في ميافارقين وولي ولده القاضي علم الدين أبو الحسن على الخطابة في نفس العام(١٢٣) ومن ثم اعتمد الاراتقة عليهم فيما بعد كما سنرى .

وأول من ولي القضاء ،عند بدء حياة الاراتقة السياسية في القدس ،هو محمد بن موسى التركي البلاساغوني الحنفي ،وكان مطلعاً على علوم شتى ،

---

(١١٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٠٠ ، ٢١٠ .

(١٢٠) المصدر السابق ٢ / ٢٠٢ .

(١٢١) المصدر السابق ٢ / ٢٠٠ – ٢٠١ ، ٢٠٢ – ٢٠٣ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

(١٢٢) المصدر السابق ٢ / ٢٠٩ – ٢١٠ ، ٢٢٠ – ٢٢١ ، العظيمي ، تاريخ ، ورقة ٢٠٠ ظ ، ابن الفرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٥) .

(١٢٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

ولكنه كان متعصباً للحنفية ،ويقال أن سيرته في القضاء كانت غير محمودة، مما دفع أهالي القدس إلى أن يشكوه إلى سقمان ابن ارتق فعزله ،ومن ثم اتجه البلاساغوني إلى دمشق حيث تولى القضاء هناك وتوفي عام (٥٠٦ هـ = ١١١٢ م) (١٢٤) .

وفي ديار بكر تألق اسم عائلة بني نباتة .ففي عام (٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) استولى إيلغازي على نصيبين فسار اليه القاضي علم الدين أبو الحسن بن نباتة ،الذي كان إيلغازي قد أقره على قضاء ميافارقين لدى استيلائه عليها عام (٥١٢ هـ = ١١١٨ م)،وجماعة من رجالات ميافارقين وهنأوه بفتحها ، فخلع عليهم ايلغازي وأحسن اليهم وأعادهم (١٢٥) وعندما توجه لقتال الكرج في العام التالي (٥١٤ هـ =١١٢٠ م) استصحب معه القاضي علم الدين وولده القاضي أبا الفتح الذي ولي قضاء ماردين إلى ما بعد منتصف القرن السادس (١٢٦) وتشير حادثة استصحاب إيلغازي لأحد قضاته في تلك الغزوة إلى احتمال اتخاذ الاراتقة لقضاة العسكر الذين عرفوا لدى المماليك ، وكانوا يصحبون السلطان في اسفاره (١٢٧) ويقضون في العسكر ومن يتصل به من الصناع والعمال وغيرهم (١٢٨) .وفي عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) استدعى القاضي علم الدين بن نباتة من ميافارقين إلى ماردين ليتولى قضاءها بعد عزل قاضيها مجد الدين داود بن السديد .وفي نفس العام ولي بهاء الدين

---

(١٢٤) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ٨ / ٤٤ .

(١٢٥) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة١٠٢ آب ، ونقل عنه ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٠٢ آ.

(١٢٦) الفارقي ، ورقة ١٠٣ب – ١٠٤ آ .

(١٢٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٣٦ .

(١٢٨) علي ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٩٢ . وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣٤ – ٣٦ ، ١٩٢ ، ١١ / ٩٦ ، ٢٠٤ – ٢٠٧ ، والعمري ، التعريف ص ١٢٣ – ١٢٤ .

أبو طاهر خطابة ميافارقين نيابة عن عمه علم الدين ،وبعد يومين من ذلك ولي خطابة ماردين أيضاً (١٢٩) .وفي عام (٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م) حدثت بعض الخلافات بين أفراد عائلة بني نباتة تمكن على اثرها أبو الفتح ضياء الدين بن نباتة أن يحصل على قضاء ماردين (١٣٠) ،وبعد منتصف القرن السادس الهجري تضاءل دور بني نباتة في القضاء ولم تعد المصادر تشير اليهم الا نادراً وبرز محلهم عدد من القضاة ينتمون إلى عوائل شتى ومن أشهرهم عبد السلام المقدسي المارديني الذي ولي قضاء ماردين في آواخر القرن السادس الهجري (١٣١). والحكيم شمعون الخرتبرتي قاضي خرتبرت الذي بلغ الغاية في الخط العربي (١٣٢) .وعلي بن محمد بن النجار اليغنوي الفقيه الحنبلي الأديب الشاعر الذي سافر من بغداذ إلى ديار بكر وولي قضاء آمد حتى وفاته عام (٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م) (١٣٣) ويحيى بن سعيد بن محمد الربعي الفقيه الشافعي وهو من أهل تكريت ،درس في بغداد والموصل وولي قضاء ماردين (١٣٤)

وعندما استولى التتر على الجزيرة والشام غدا قضاة الاراتقة في ديار بكر تابعين لقاضي القضاة الذي عينه التتر على كل مناطق الشام والجزيرة والموصل والذي كان مركزه في دمشق ،حيث أصدر هولاكو في عام (٦٥٨ هـ=

---

(١٢٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٤ آ – ١٢٥ آ . وانظر بشأن الخطابة : القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ١١ / ٢٢٢ – ٢٢٥ ، العمري ، التعريف ص ١٢٦ – ١٢٧ . وكان الموظف الذي يتولى الخطابة لدى الأراتقة يقوم – احياناً – بوظيفة الافتاء كذلك ، فضلا عن القضاء ، لما بين هذه الوظائف من تشابه واستلزامها جميعاً ثقافة فقهية ولغوية. لذا كان الأراتقة يولونها لاولئك الذين تمرسوا في هذه الثقافة(انظر ياقوت ،معجم الادباء ٢٠ / ١٨ – ١٩) .

(١٣٠) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٢ آب .

(١٣١) ابن العبري ، مختصر ص ٤١٧ ، اقفطي ، الحكماء ص ١٨٩ – ١٩٠ ويشير إلى أن والد عبدالسلام وهو عبدالرحمن المقدسي كان قاضياً على دنيسر .

(١٣٢) ابن العبري ، مختصر ص ٤٤٤ .

(١٣٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ٣٧/٥ – ٣٨ .

(١٣٤) انسان العيون ، مجهول ص ١٦٩ .

١٢٥٩م) منشوراً يقضي بتعيين القاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي الشافعي قاضياً لقضاة «الشام والموصل وماردين وميافارقين والأكراد .. الخ»(١٣٥).

ولكن هذا النظام لم يستمر طويلاً إذ انتهى بمجرد زوال سيطرة التتر عن الشام ،فاستقل القضاء الارتقي من جديد وأصبح المسؤول الأعلى عنه قاضي قضاة يعينه الاراتقة .

ومن قضاة الاراتقة المشهورين ،خلال الفترة التي أعقبت السيطرة التترية مهذب الدين محمد بن علي الدنيسري ، قاضي قضاة ماردين منذ عام (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م)وحتى عام (٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م)(١٣٦) ،وأبوه محمد بن سليمان بن علي الدنيسري الذي ولي قضاء ماردين طيلة خمس وثلاثين سنة وتوفي سنة (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م) فعين ولده في منصبه (١٣٧) .وسليمان ابن داود بن عبد الحق الحنفي الذي اشتغل في الحديث والفقه وسافر إلى أماكن عديدة وولي القضاء ببغداد وماردين ،وتسنم مناصب إدارية في دمشق ومصر وتوفي عام (٧٦١ هـ = ١٣٥٩م) (١٣٨) .وبرهان الدين الموصلي قاضي قضاة ماردين في عهد الملك الصالح (٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م)وهو ينتسب إلى الشيخ الولي فتح الموصلي ويتصف بالدين والورع والفضل ، ويذكر ابن بطوطةانه كان يجلس للاحكام بصحن مسجد خارج المدرسة ،كان يتعبد فيه ، فإذا رآه بعض من لايعرفه ،ظنه بعض خدام القاضي وأعوانه (١٣٩) .والصدر أبو طاهر السمرقندي الذي تولي قضاء ماردين قبيل سقوطها (١٤٠)،وهو آخر من وصلت الينا أسماؤهم من قضاة الاراتقة .

كان القضاء لدى الاراتقة منظماً تنظيماً دقيقاً ،وبخاصة في امارة ماردين

---

(١٣٥) ابو شامة ، ذيل الروضتين ص ٢٠٤ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٦٤/٣ – ٦٥ ، المقريزي ، السلوك ٤٢٤/١/٢ ، ابن العماد ، شذرات ٣٣٧/٥ – ٣٣٨ .

(١٣٦) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥آ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .

(١٣٧) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .

(١٣٨) ابن حجر ، الدرر الكامنة ١٤٩/٢ – ١٥١ .

(١٣٩) رحلة ابن بطوطة ١٨٣/١ .

(١٤٠) الطباخ ، تاريخ حلب ١٩٦/٥ – ١٩٩ .

فهنالك قاضي القضاة وهو المسؤول الأعلى عن السلطة القضائية ،ومقره في العاصمة ماردين (١٤١) ويعين من قبل الأمير الارتقي مباشرة ،ويقوم هو بتعيين نوابه في البلاد التابعة للامارة (١٤٢) وكان قاضي القضاة يتقاضى مرتباً كبيراً ،أو يقطع اقطاعاً يتناسب ومنصبه .(١٤٣) ولا ريب أن عمل قاضي القضاة لم يكن يقتصر على النظر في قضايا الأحوال الشخصية ،بل كان يمارس ،اسوة برفيقه في حكومات مصر والشام ،النظر في جميع القضايا المتعلقة بمهمته ،وامامة المسلمين في الصلاة ،والاشراف على دار الضرب (١٤٤) والنظر في الاوقاف والعمل على تنمية مواردها وصرفها في وجوهها واستلام أموال المواريث (١٤٥) .أما جلسات المحاكم فتنعقد في المساجد أو في دور القضاة (١٤٦).

وقد لعب القضاة لدى الأراتقة دوراً هاماً في السفارات السياسية فكانوا يشتركون أحياناً في الوفود الموجهة إلى إحدى الجهات للمفاوضة (١٤٧). كما كانوا يسهمون في تقرير الصفة الشرعية لأمراء الأراتقة ــ أحياناً ــ لدى تولي أحدهم الحكم بعد موت سلفه (١٤٨) . وفي حلب لعب قاضي الأراتقة أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب دورا هاماً في الصراع الذي نشب طيلة

---

(١٤١) ابن شداد ، الاعلاق ، ورقة ١٣٥ آ ، انسان العيون ، مجهول ص ٢٧٧ — ٢٨٨ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ ، ابن بطوطة ، رحلة ١٨٣/١ .

(١٤٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٩٠/٢ .

(١٤٣) انسان العيون ، مجهول ، ص ٢٧٧ — ٢٨٨ .

(١٤٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣٤/٩ — ٣٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ١٠١/١ .

(١٤٥) المقريزي ، خطط ٩٢/٢ .

(١٤٦) أنظر : علي إبراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٨٨ — ٢٩٠ ، النويري ، نهاية الارب (القسم المخطوط) ٢٩٩/٢٩ آ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١٠١/٢ ، ابن حجر ، رفع الاصر ص ١٤٩ آ .

(١٤٧) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ٣٤٢/١ — ٣٤٤ وآنظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢٩٠/٢ .

(١٤٨) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٨ آ — ١٣٨ ب ، ابن شداد ،الأعلاق ورقة ١٠٥ آ.

العقد الثاني من القرن السادس الهجري ، بين الصليبيين وأهالي حلب . وقد استطاع ، بما عرف عنه من مهارة سياسية وشجاعة نادرة ونشاط لايفتر ، وما كان يتمتع به من حب شديد من قبل أهالي حلب ، أن يصمد بها أمام هجمات الصليبيين المركزة . وكان يتمتع بصلاحيات القائد الأعلى للحرب والإدارة ، كما كان يقوم بالإشراف على الأمور العمرانية (١٤٩) .

وهكذا نجد أن الإدارة الأرتقية اعتمدت إلى حد كبير على النظم المعاصرة المعمول بها لدى السلاجقة والأيوبيين والمماليك ، فضلاً عن ارتكازها على الأسس الإدارية السائدة في المنطقة (ديار بكر وشمالي الشام) في العقود التي سبقت قيام الإمارات الأرتقية . ولئن حدثت تغييرات بسيطة في تسمية بعض موظفي الأراتقة ، إن وظائفهم بقيت ، في مهماتها الرئيسية ، تعمل وفق نفس النظم التي كانت تعمل بها الدول السالفة التي تأثر الأراتقة بها في مؤسساتهم الإدارية. وهكذا فإن قيام الإمارات الأرتقية في ديار بكر لايشكل طفرة في نظمها الإدارية بقدر ما يشير إلى رغبة الأراتقة في توسيع الجهاز الإداري والإعتماد على مزيد من العناصر الكفوءة ، والإستفادة من كافة النظم السابقة والمعاصرة التي شهدها الأراتقة والتي أخذت تتبلور وتتخذ شكلها النهائي في عهد المماليك.

الدكتور عماد الدين خليل
أستاذ مساعد – قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة الموصل

(١٤٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢/١٨٥ – ١٨٦ ، ٢١٤ – ٢١٦ ، العظيمي ، تاريخ ، ورقة ١٩٧ ظ ، ابن الشحنة ، المنتخب ص ٨٢ – ٨٣ .